

هذه شذرة صغيرة في وصف كلية باريز التي ما زالت الحكومة الفرنسية تنفق عليها النفقات الطائلة واخسون لا ينفكون عن إعطائها المنائح الكبيرة فقد وهبها كارنيجي الحسن الأمير كي كثيراً كما أن بعض الروسيين منحوها مالاً جزيلاً والفرنسيين يعطونها عن سعة. فحيا الله يوماً تقام لكل قطر من أقطار البلاد العربية كلية مثل هذه تدرس أبناءها عنوم البشر بنفهم وتكون محتفلاً بالوطنية الصحيحة كما تكونها كليات الممالك الصغرى في الغرب كالبلجيكا وهولاندة والدانيسرك والسويد ونروج وسويسرا واخر وبولونيا وفنلندا والبرتغال.

حدائق باريز ومتاحفها

١٨

يطول بنا نفس الكلام إذا أردنا الإفاضة في كل فرع من فروع العمران بباريز وكلها مما يحتاج إلى صفحات كبيرة وربما ملّ القاريء قبل أن ينل الكاتب. ولقد عانيت مدة مقامي في هذه العاصمة أن لا أضيع ساعة من وقتي إلا في البحث عن جمعية أو إنسان وزيادة معهد فيه نموذج من ارتقاء العقول ووفرة العلم وحذق الأيدي وبسطة العيش وفصل الرفاهية وما جعلته لأوقات الفراغ غشيان الحدائق والمتاحف ودور التمثيل والسناج.

في باريز حدائق كثيرة عامة ومنها الصغير الخاص بحي أو شارع صغير ويسمونها سكارار وهي كننة إنكليزية معناها ساحة مربعة أو حديقة يحيط بها حاجز من قضبان حديد وتكون في ميدان عام وعددها ٣٦ حديقة تصني كل حاضرة من حواضر البلاد العثمانية أن يكون لها من نوعها واحدة فقط بانتظامها وحسن تعهدها. أما الحدائق الكبرى فعدها

تسع تصرف في كل واحدة الساعات وأنت تشرح ظرفك فيما خصتها به يد الصانع وأيدي البشر من مجالي الظرف والجمال.

زرت منها حديقة الحيوانات وحديقة النباتات وحديقة كنوبي وحديقة لو كسبورغ وعجبت لمن يزور هذه الحدائق مرات لم لا يكون عارفاً بالنبات والحيوان وتاريخ مشاهير فرنسا أحسن معرفة فمثل هذه الحدائق التي يتزدهر فيها المتزهون هي في الحقيقة مدارس عملية يدرس فيها المتزهد كبيراً كان أو صغيراً ما ينبغي له من هذه العلوم درساً عملياً لا يحتاج فيه إلا إلى انتباه فكر قليل حتى إذا أسعده الحظ ونظر في المدرسة أو خارجها في كتب هذه العلوم يصبح وهو مطبق العلم على العمل.

ولقد رأيت في حديقتي الحيوان والنبات أسماء كنت أقرأها ولا أعرف أعيانها ففما وقع النظر عليها تبينت فضل عرضها وأن العلم النظري إذا لم يشفعه علم عملي يقي كالسيف في غمده أو البندقية في معننها أو الكهرباء قبل توليدها. وليس في البلاد العثمانية أو المصرية ما يشبه هذه الحدائق الله إلا أن تكون حديقة الجزيرة والجزيرة والقناطر الخيرية في مصر وحديقة الأمة وغيرها في الأستانة ولكن أين الثريا من يد المتناول ما ينظمه الباريزيون لأنفسهم وينظمه الإنكليز أو الطليان والنمسيون لنا. وما حك جسمك مثل ظفرك.

وإنك لترى في بعض الحدائق العامة تماثيل مشاهير رجال فرنسا في السياسة والعلم مجسمة من رخام مجزء أو حديد مصنع كأن ساحات باريز وشوارعها العظمية لم تستوعب وحدها كبار رجالهم حتى هرعوا إلى الحدائق يضعون فيها التماثيل والنصب لمن أحسنوا الالامة أو سادوها زمناً وأصبح لهم في تاريخها ذكر يردد. ففي ساحات باريز وشوارعها

٦٨ مشهداً لمشاهير عنائهم ورجال سياستهم ومنهم أوغست كونت والفرد دي موسه وشاركو وكورنيل ودانتون وغامبتاوكي دي موباسان وجول سيون ولافيت وواشنطن ولافوازيه وباستور وفكتور هوغو وغيرهم وفيها ٦٨ تمثالاً اثنان منها لاسكندر دوماس الابن والأب. وواحد لبالزاك وبوفون وبرانجيه وشارلمان وكنود برنار وكوندورسه ودانت وديدرو وغاريبالدي وجورج ساند وجان جاك روسو وجان دارك ولامارتين ومارات وموليير وباسكال وشاكسبر وفولتير وتمثال الحرية والقانون والجمهورية هذا داخل العاصمة أما خارجها فلها من غابتي فنسين وبولونيا أعظم فسحة ونزهة وغابة فنسين في شرقي باريز على بضعة كيلومترات من نقطة دائرتها ومساحتها ٩٢٧ هكتاراً وفيها من أنواع الراحة وتنويع المناظر المفيدة ما هو العجب العجائب وأعجب منها غابة بولونيا في غربي باريز ومساحتها ٨٧٣ هكتاراً زرقاً ثلاث مرات وإن كانت في الشتاء ليست مثلها في الصيف غنى ألها ما خلت من الأنيس والجنيس وكان أحد تلك الأيام يوم عيد رأس السنة والسماء مصحبة والشمس طالعة مريضة صحيحة والعيون المراض الصحاح خرجت من كناسها تستنشق الهواء النقي. وهناك منظر من بحيرات بولونيا وطرقها لا أدري كيف يصوره الشاعر إذا كان الوقت ربيعاً أو صيفاً أو خريفاً ولو كنت شاعراً لحبرت في وصفه القصيدة وإن زرقاً في الفصل الميت كما يقول الفرنسي.

أما المتاحف الباريزية فهي أيضاً قصور نزهة وحدائق صفاء وعددها ٣١ متحفاً يحتوي كل منها على أقصى ما يتصوره العقل من ارتقاء البشر في الصناعات والفنون على اختلاف الأعصار زرت بعضها وقضيت أوقاتاً طويلاً في متحف النوفر العظيم بالقرب من

نهر السين ومتحف فرسال على ثلاثة أرباع الساعة من باريس. أما متحف النوفر فهو من
 أجل قصور العالم وأوسعها عرف سنة ١٢٠٤ على عهد فيليب أوغسطس وما زالت
 أيدي الملوك تتعاوره بالإصلاح أو التدمير حتى إذا كان عهد فرنسيس الأول أصبح
 النوفر متحفاً يقسم اليوم إلى سبعة متاحف في متحف بحسب أصول آثارها وزمنها
 وطبيعتها وهي متحف التصوير ومتحف الرسوم ومتحف النقش ومتحف النحت القديم
 ومتحف النحت في القرون الوسطى وعلى عهد النهضة ومتحف النحت الحديث
 ومتحف العاديات الآسيوية ومتحف العاديات المصرية ومتحف العاديات الإفريقية
 ومتحف العاديات النصرانية ومتحف الفخار والأواني الخزفية القديمة ومتحف الفن
 والحلي والرخام القديم ومتحف عاديات القرون الوسطى والنهضة والقرون الحديثة
 ومتحف تير ومتحف البحرية ومتحف الشرق الأقصى. وكل متحف تصرف فيه
 الساعات الطويلة ولا تستوفي النظر فتأخذك الدهشة من رؤية المكان ورؤية المكين
 وتقضي بالعجب من كل ما يقع عليه بصرك إذ تمثل لك عظمة الإنسان وتفتنه فيما
 تصنعه يده وعينه وذوقه أما متحف فرسال فهو في مدينة فرسال وكانت في القرن الحادي
 عشر للنيلاذ قرية فأصبحت بعناية لويز الثالث عشر مدينة صغرى لأنه أقام فيها قصراً
 للراحة أثناء الصيد وأراد لويز الرابع عشر أن يجعل فرسال مركز حكومة فرنسا فأنشأ
 فيها أبنية ومصانع عظيمة وكذلك فعل لويز الخامس عشر حتى أصبح عدد سكانها ثمانين
 ألفاً على عهد الثورة. وهكذا إذا أراد الملوك أن يعبروا بنداً أحيوه وإذا شاؤوا أن يخربوه
 أماتوه. واشتغل في إقامة قصر فرسال الذي جعل المتحف فيه اليوم ثلاثون ألف رجل

وسنة آلاف دابة في اليوم مدة سنين طويلة وقد فتحت أبواب المتحف سنة ١٨٣٧ وفيه اليوم ٥٦٠٠ أثر تاريخي.

أما مجموعة الصور البديعة التي فيه فعددها ٢٤٠٠ صورة ليس لها نظير في العالم ومن يمعن النظر فيها كثيراً يخرج من المتحف وقد درس تاريخ فرنسا ووقائعها الحربية بالعمل والنظر.

ومن جملة ما حواه أصلحة بيوت الشرف التي اشترك فرد أو أفراد منها في الحروب الصليبية. ومنها أبواب مستشفى فرسان رودس الذي أهدها السلطان محمود العثماني سنة ١٨٣٦ إلى لويز فيليب صاحب فرنسا. وفيه صور كثير من مشاهير الشرق كأنك تراهم عياناً وفيه صورة تمثل القائد كمبر الفرنسي وسليمان الحلبي يقتله في حديقته في القاهرة زمن الاحتلال الفرنسي في مصر.

أطنت الرواية في كل هذا وأنعمت النظر في النفقات الطائلة التي أنفقت على هذه القصور المزخرفة والمصانع العظيمة فأعطيت بعدها الحق لمن قاموا بالثورات الفرنسية يريدون إنزال المنوك عن عروشهم وفصم عرى السطة الفردية لتقل إلى أيدي الأمة. نعم إن أقل نظرة إلى هذه القصور يستغرب معها المرء كيف لم تحدث تلك الثورات قبل حدوثها بزمان طويل ولكن الحوادث كالحبال لا تند إلا بعد إتمام مدة الحمل أو كالشر لا ينضج قبل إبانته.

ولم أتمكن يوم زيارتي لفرسال من رؤية كل حداثتها ومرافقها لتزول الشج ولكني على الجملة أخذت منها صورة إجمالية كافية. شأني في كل ما زرته من المعاهد ورأيت من

المشاهد فلم يتيسر لي أن ألقى عليه سوى نظرة واحدة لضيق الوقت وكثرة ما يجب أن يدرس من آثار هذه الحاضرة الغربية الغربية.

وبعد كل هذا صرت أرى الاشتراكيين على حق فيما يطالبون به الاجتماعات الحديثة في الغرب وهم يرون مئات الفدادين من الأرض تجعل حدائق قد لا يختلف إليها إلا أفراد في حين يهتلك مئات الألوف من الخاويج والفقراء ولا من يرحم ضعفهم المادي والصحي أو يرثي لكائهم وتسيل على النظر هذه التحف والعاديات التي لا تقدر بشئ وحكومة الجمهورية تفترض مئات الملايين من الفرنكات لسد العجز في ميزانيتها. وهكذا نظام الجمع الغربي ولعل عقول أهله المفكرة تحرر في الأجيال المقبلة الفقير من فقراه أو تقوى على الأقل على تعديل هذا النظام الجائر الذي يسبب من كثيرين السيد والبند ليعمر به قصر البلد وينعب في حدائقه وساحاته الوالد والوالدة والولد.

مكاتب باريز ومكتباتها

١٩

لو لم يكن في باريز إلا مكتبة الأمة التي حوت في قصرها الفخيم زهاء ثلاثة ملايين كتاب مطبوع ومئة ألف كتاب مخطوط ومنيونين ونصف صورة مخومة وألوفاً من الأيقونات والأنواط القديمة وغير ذلك من التحف والآثار ومجاميع الصحف والمجلات لكفاها جالباً للسائحين ولافتاً لأنظار أهل العالمين من العالمين.

مكتبة أسست منذ نحو ستة قرون وملكها فرنسا وعلماؤها وأشرافها يتبارون في أن يجعلوها في كل فرع من فروع العلم واللغات وصنوف المخطوطات والمطبوعات حتى إذا جاء